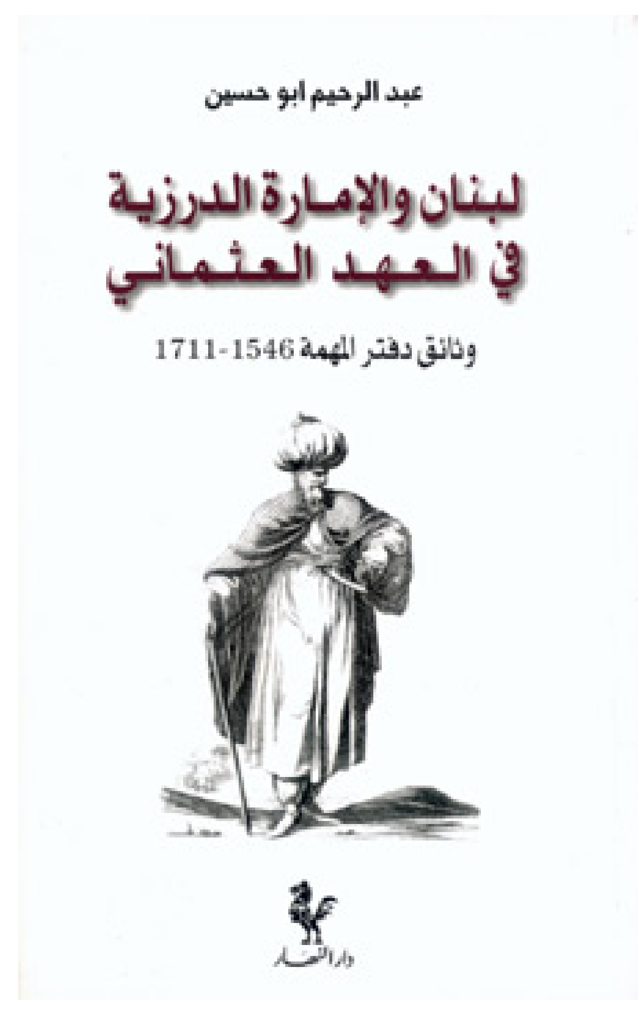


الأربعاء 8 آذار 2006 - العدد 2202 - صفحة 20

لبنان والإمارة الدرزية في العهد العثماني














يقظان التقي

مادة تاريخية توثيقية مهمة وموضوعية يقدمها الباحث عبد الرحيم ابو حسين، استاذ في دائرة التاريخ والاثار في الجامعة الاميركية في بيروت، في كتابه "لبنان والامارة الدرزية في العهد العثماني"، وثائق دفتر المهمة (1546 - 1711)، في عمل هو الاول في الاستفادة على نحو شمولي من وثائق تلك المرحلة مترجمة الى العربية، ومقابلتها بالمصادر المحلية، في واحد من الكتب المراجع عن تاريخ لبنان، ولاسيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر وما يسمح بالاطلالة من الماضي الى الحاضر، والى مستقبل الكيانات المكونة للفكرة اللبنانية "آموري مهمة دفتري"، او سجل الاعمال العامة، التي تتعلق بتاريخ لبنان، او بالأحرى تاريخ اجزاء سوريا العثمانية، التي كونت لبنان فيما بعد.

يحدث الان
02:03
انسحب نجم التنس الصربي نوفاك ديوكوفيتش من نهائي بطولة ابوظبي الاستعراضية بسبب الحمى فاحرز البريطاني اندي موراي اللقب للمرة الثانية بعد 2009
02:01
ويتابع دور الـ16 اليوم الاحد: النجمة - الاجتماعي (ملعب العهد 13:30)، طرابلس - التضامن صور (الصفاء 13:30)
01:58
وسبق ان تأهل لربع النهائي شباب الساحل بفوزه على السلام زغرتا 4-0 والاهلي صيدا بفوزه على الشبيبة المزرعة 3-1 والعهد بتغلبه على النبي شيت 3-0
01:57
وتأهل الانصار للقاء الفائز من مباراة الراسينغ مع الاخاء الاهلي عاليه والتي ستقام غدا الاثنين
01:55
بلغ فريق الانصار ربع نهائي كأس لبنان لكرة القدم بعد فوزه على الصفاء بضربات الترجيح 5-3 اثر تعادلهما سلبأ في الوقتين الاصلي والاضافي
المزيد

الصفحة الأولى
شؤون لبنانية
مخافر و محاكم
المستقبل الإقتصادي
بزنس
شؤون عربية و دولية
رأي و فكر
ثقافة و فنون
رياضة
الصفحة الأخيرة



هذه الفترة من تاريخ لبنان، والتي لم تلق حتى الآن الا القليل من الاهتمام على الصعيد العلمي يضيء عليها الكتاب، وهذا لا ينطبق على تاريخ لبنان في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، عندما اصبحت المصادر والوثائق المحلية اكثر وفرة. وبسبب ندرة التدوين المحلّي لهذين القرنين الغامضين من تاريخ لبنان، يكتسب التوثيق العثماني للموضوع اهمية كبرى، ويملك جاذبية الغموض. هذا التوثيق يقدم الموقف الرسمي والتعليمات الحكومية، التي تتحدث عن احداث ومشاكل معاصرة لتلك الفترة وفي اماكن معينة. ان هذا الموقف الرسمي والتعليمات الصادرة عن الدولة العثمانية المركزية في اسطنبول الى حكام محليين وموظفين مدنيين او عسكريين كثيراً ما تكون غامضة ولا تنبئ بذاتها عن قصص كاملة. هنا يجب التذكير انه منذ الفتح العثماني (1516) وحتى إيجاد نظام الالتزام لامارة جبل لبنان، تحت حكم الشهابيين (1711)، لم تتمكن المناطق التي تسمى لبنان اليوم من ان تكون وحدة تاريخية متكاملة بذاتها، وانما كانت مقسمة تبعاً لولايات سورية العثمانية المختلفة ومن بينها ولاية دمشق. وفي ظل تلك الظروف كان من الطبيعي ان يعتبر سكان هذه المنطقة شؤونهم جزءاً لا يتجزأ من شؤون تلك الوحدات الجغرافية والادارية السورية الكبيرة التي تنتمي اليها مواطنيهم. ومن الطبيعي إذن ان يكون تاريخ المناطق اللبنانية المدّون خلال القرنين، موجوداً ضمن التاريخ الاشمل لسوريا العثمانية.

فخر الدين ولقب "سلطان البر"

تتكون مجموعة "اموري مهمة دفتري" من 263 سجلاً تغطي الفترة الممتدة من 1553 حتى 1905، وهي محفوظة في الـ"بشبكانلق أرشيفي"، اي "أرشيف رئاسة الوزراء" الموجود في اسطنبول، ومكتبات اخرى.

يحتوي كل سجل على نسخ لمئات واحياناً لآلاف الفرمانات الصادرة عن الحكومة المركزية الى حكام المقاطعات او القضاة، او الاداريين باختلاف وظائفهم، او الى افراد معينين دون مناصب، وقسمت الى ستة اقسام، يسبق كل منها تمهيد يضعها في اطارها التاريخي، ويوضح السياسة العثمانية في المقاطعات، والانظمة الاقليمية، والتعيينات الرسمية والوظيفية.

في اطار التسلسل التاريخي والمفصل الذي تقدمه وثائق "المهمة" عن تمرد الدروز منذ اربعينات القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن السابع عشر. ذلك ان ثورة الدروز احدثت حالة طوارئ طويلة الامد انعكست بشكل طبيعي في الوثائق، وهذا يتناقض مع السكوت شبه التام في المصادر المحلية حول الموضوع نفسه، مع الاستثناء في الاشارة المتكررة لثورة فخر الدين في المصادر اللبنانية، والدمشقية.

وثائق

الى ذلك الصورة التي تبرزها الوثائق تختلف اختلافاً كبيراً عما كان متخيلاً او مكتوباً عن الموضوع في التواريخ التقليدية السائدة او الدارجة، فهذه الوثائق لا تعترف ولا تميز اي وحدة جغرافية تحت اسم "لبنان"، ولا تشير الى وحدة سياسية او ادارية بهذا الاسم. ما تعترف به الوثائق هو الولايات، او الألوية، او النواحي وبعضها كان يعود الى لبنان وبعضها الى دمشق، والبعض الآخر لطرابلس، او صيدا. كذلك، فإن الشخصيات والمواضيع المركزية في التاريخ اللبناني، كما هي متخيلة ومروية تقليدياً، اما ان ترد بشكل مختلف في الوثائق، او تكون غائبة كالشخصية المركزية المتمثلة في الامير فخر الدين معن (ت. 1635). فهذا الرجل يظهر عنواناً للمجد والفخار والسلطان في الكتب التاريخية المدرسية باعتباره البطل والرمز الوطني الذي منحه العثمانيون لقب "سلطان البر"، بينما يظهر في الوثائق كحاكم مقاطعة سورية كانت علاقته بالعثمانيين لا تختلف عن الكثيرين من معاصريه بسوئها وحسنها، ومن المعروف ايضاً او الدارج ان فخر الدين باشر سلطة توسعية بين العام 1618، والعام 1633، اكسبته سيطرة رسمية على منطقة سورية اكبر بكثير من الالوية التي كان يحكمها رسمياً. غير انه ليست هناك اية وثيقة في المهمة تسند اليه لقب "سلطان البر"، او تلمح الى لقب آخر غير "امير اللواء".

الانقسام القيسي اليمني

وهناك في الكتاب قضية الانقسام القيسي ـ اليمني بين الدروز اللبنانيين، التي شغلت المؤرخين ولا تزال حتى اليوم كمسألة كبرى، وتم عليها شرح الكثير من احداث تاريخ لبنان خلال القرنين الاولين من الفترة العثمانية. الوثائق تذكر هذا الشقاق القيسي ـ اليمني، فيما يتعلق بأقسام مختلفة من سوريا، ولكنها لا تورد له ذكراً بشأن الدروز في جبل لبنان.

هناك ايضاً سيرة احمد معن (ت. 1697) حفيد أخ فخر الدين وآخر فرد في السلالة المعنية بإعتباره امير النواحي الجبلية التابعة للواء صيدا، والمعاصر للبطريرك الماروني اسطفان الدويهي. شخصية الامير تظهر في الوثائق شخصية باهتة، شخصية حاكم الجبل، الذي ورث مركز شخصية أمر واقع لا تثير الاهتمام على الاطلاق، في حين تظهر صورته في الوثائق على نحو مغاير كشخص طموح وماكر ومراوغ، فشل العثمانيون في القبض عليه وسوقه الى العدالة، وانتهز الأخير فرصة الاوضاع العسكرية للعثمانين على الجبهة الهنغارية (1683 ـ 1699) ليشعل ثورة ضد السلطة العثمانية في بلاده، بلاد الدروز، وليحرض مناطق اخرى، وأحمد هذا استطاع بطريقة ما ان ينجو من الوقوع في الأسر، ويستفاد من تاريخ الدويهي، وكذلك من الوثائق العثمانية انه مات في فراشه. هذا يناقض الرواية التقليدية ايضاً من انه بعد وفاة احمد معن عين العثمانيون الشهابيين السنّة، الذين كانوا اقرب الى المعنيين عن طريق الزواج، امراء رسميين لبلاد الدروز وكسروان، ولا تذكر الوثائق المهمة الانتخاب المزعوم الذي جرى من قبل الوجهاء المحليين في اجتماعهم في السمقانية للأمراء الشهابيين(...).

آل حمادة

من جهة اخرى هناك شواهد في وثائق المهمة تعزز وتوضح مسألة اصل عشيرة آل حمادة وبشكل قاطع على أنهم قزلباش وهو اسم على طائفة من هراطقة المسلمين في شرق الاناضول وأذربيجان، والذين اصبح قادتهم فيما بعد مؤسسي

الامبراطورية الصفوية الفارسية، بين الدويهي في تاريخ يشير اليهم بوصفهم عشيرة فارسية من منطقة تبريز، وقد جيء بهم ليستوطنوا في الاقسام الشمالية لجبل لبنان المحاذية لبلاد الموارنة، في عهد السلطان سليمان القانوني، بعد اول فتح لبغداد في العام 1834 م. هذه علامة صادمة تخلل المصادر المتوفرة والتقليدية عبرالالاف من الفرمانات الصادرة، والتي تشير الى اختلاف في الراواية التاريخية، التي جعلت من بعض التواريخ ملامح اسطورية وابدية. وعلى ذلك من اعادة شرح الكثير من احداث تاريخ لبنان خلال القرنين الاولين من الفترة التاريخية على نحو مغاير للرواية التاريخية التقليدية.

اختلاف في الرواية التاريخية

فيما تتحدث عنه الوثائق مواجهات عسكرية متكررة في مناطق درزية مقاومة لسيطرة الدولة العثمانية، ولم تخمد، وبقيت المناطق الدرزية في حالة عصيان في الأعوام 1583، 1584، و1585. واعتبر قرقماز معن والد فخر الدين الاسوأ بين العصاة الدروز.. ثم ان التاريخ اللبناني التقليدي يشرح حملة ابراهيم باشا على انها نتيجة للسطو التي تعرضت له قافلة الخزينة المصرية على الشاطئ اللبناني وهي في طريقها الى اسطنبول، ووجه الاتهام في ذلك الى الامير قرقماز، في حين تظهر الوثائق ان الخزينة وصلت الى اسطنبول كاملة، والهجوم الضخم الذي شنّ على الدروز في ذلك العام نتيجة عصيان السكان المستمر منذ اوائل القرن السادس عشر، وليس هناك ذكر لحادث السطو في المصادر "اللبنانية". ،الملفت للنظر عدم وجود اخبار عن اي عصيان او ثورة درزية في عهد حكم المماليك الذين حكموا البلاد قبل العثمانيين ، وتشكيك بقضية العلاقات المعنية ـ التوسكانية ودور الموارنة في مشاريع توسكانة لفتح قبرص والارض المقدسة (...).

الكتاب يعرض الى الاهمية الاستراتيجية للواء طرابلس الذي كان في بداية الحكم العثماني لواءً تابعاً لولاية دمشق، ثم تحول ليكون ولاية قائمة بحد ذاتها في العام 1521، والعام 1579، وامتدت على طول الساحل السوري ومنها الطريق الرئيسي من مرفأ طرابلس الى حمص والداخل السوري، وكانت منذ الفتح العثماني حتى العام 1579 تحت سيطرة الامراء التركمان آل عساف في علاقات مد وجزر مع العثمانيين.، اما بلاد بعلبك والبقاع ووادي التيم فكانت تدار كنواحٍ للواء دمشق المركزي، اما في بلاد بعلبك، فكانت غالبية السكان من المسلمين الشيعة من ضمن الاجزاء الاكثر خصوبة وانتاجاً في سوريا العثمانية (عائلات حرفوش وشهاب..)، وكذلك لواء صفد كان مملوكياً جزءاً من ولاية دمشق، لكنه بعد عام 1660 صار جزءاً من ولاية صيدا، وتحت سلطة فخر الدين في أوائل القرن السلبع عشر.

كتاب يشكل علامة فارقة في التأريخ الحيادي وغير الوجداني للاحداث التاريخية على نحو رواية تاريخية مختلفة ، يقوم بسدّ العديد من الثغرات في تاريخ لبنان، ويفتح باباً علمياً تاريخياً على القرنين الاولين للحكم العثماني قابلاً للنقاش والمقاربة العلمية. وهو عمل مرجعي وبحثي كبير يترجم منهجياً، لا بد من مقاربته بقراءة غير عرضية لا تسقط في الكليشيات النمطية من قبل المهتمين بتاريخ لبنان وبلاد الشام في العهد العثماني وبالتاريخ العثماني عموماً.

الكتاب: لبنان والإمارة الدرزية في العهد العثماني

المؤلف: عبد الرحيم ابو حسين

الناشر: دار النهار، 2006

ثقافة و فنون

مقالات للكاتب

- **31-12-2014 : رحيل الفنان الكبير محمود سعيد - يقظان التقي**
- **15-12-2014 : «استهداف أهل السُنّة» للدكتور نبيل خليفة - يقظان التقي**
- **02-12-2014 : تكريم ذكرى العلامة هاني فحص وتحية الى نصري شمس الدين ومناهج التاريخ وتواقيع - يقظان التقي**
- **01-12-2014 : حضور لافت واستهلال بسلسلة ندوات ومحاضرات وتواقيع - يقظان التقي**
- **29-11-2014 : كتاب بيروت في مواجهة الإرهاب - يقظان التقي**
- **27-11-2014 : مثل بطاقة الهوية اللبنانية - يقظان التقي**
- **26-11-2014 : «الغرفة السفلية» ليوسف البعيني بوليسية من نوع أدبي! - يقظان التقي**
- **21-11-2014 : اللوحة المفتوحة على إيحاءات اللون وخصب اللغة! - يقظان التقي**



PDF

ADS

Obituries

Nawafez



